

نازلة توات؛ دوافعها وعواملها ونقاش المغيلي مع علماء زمانه

**The case of Tawat: its motives, factors,
And Maghili's discussion with scholars of his time**

قاصب مصعب^{1*}، صافية شنين²

¹جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية بخروبة (الجزائر)

m.gaceb@univ-alger.dz

²جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية بخروبة (الجزائر)

safiaa.ch@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2023/01/10 تاريخ القبول: 2023/05/15 تاريخ النشر: 2023/07/30

ملخص:

تكمّن أهمية الدراسة في كونها تجيب على إشكالية البحث: ما هي عوامل ودوافع المواجهة الحادة بين المغيلي ويهود توات؟ كيف ناقش المغيلي علماء زمانه؟ تهدف الدراسة لإظهار المنهج السويّ للإمام المغيلي في الدعوة إلى الدين، وكان للمنهجين الوصفي التحليلي ثم النقدي دورا للوصول إلى الهدف والنتيجة الآتية: المغيلي صادق النية مخلص غيور على الدين، غير المنكر بلسانه وغيره بيده في غياب السلطة ممثلا شرع الله تعالى دون إفراط ولا تفريط.

الكلمات المفتاحية: المغيلي؛ الدعوة؛ يهود توات؛ دوافع الحرب؛ علماء الجزائر

Abstract:

The importance of this study lies in the fact that it answers the following question: What are the factors and motives for the confrontation between Al-Maghili and the Jews of Tawat? The study aims to show the correct approach of Al-Maghili in preaching to the religion. The Article provides a descriptive, analytical, and the critical approaches that leads to the aim and the following result: Al-Maghili is sincere in his intention, defended his religion, changed the denier by all means.

Keywords: Algerian scholars; Al-Maghili, The Jews of Tawat; preaching; Islam

1. مقدمة:

إنّ الحديث عن دعوة المغيلي في تَوَاتٍ واصطدامه باليهود هناك كثر في هذه السنوات بعد إحياء موضوع "نازلة توات"، وإنّ المطّلع على تاريخ المنطقة ليدرك أن اليهود نزحوا إليها وإلى غيرها من المدن في هذه البلاد فارّين من عدّوهم الذي أراد أن يذيقهم سوء العذاب بعد ذبول زهرة الأندلس وتساقط أوراقها كفرارهم من الأسد، اختاروا توات من ضمن أفضل المدن رغم وقوعها في الصحراء بأرضٍ فلاةٍ لأنّها واقعة على طريق مهم تجاريا يربط بلاد السودان جنوبا بموانئ الشمال، فكثّر عددهم هناك وسيطروا على التجارة والاقتصاد حتى صار لهم نفوذ سياسي في تلك البلاد مستغلّين طيبة أهل الصحراء وكرمهم وإحسانهم، ولم يتوقّفوا هنا بل استضعفوا أهل البلاد وعاثوا في الأرض الفساد، وزادوا على ذلك فأظهروا دينهم وأعلنوا عداوتهم لغيرهم وما تمليه عليهم عقيدتهم وبنوا الكنائس الكبيرة التي ضاهت مساجد المسلمين، حتى إن الداخل لتلك البلاد قد يظن أنه بأرض يهودية لا إسلامية، ملأوا مكتباتهم وكنائسهم بنسخ التوراة وكتبهم الدينية، وهم في كل هذا مخالفين ما تمليه عليهم عهود الذمة، في الوقت نفسه كانت تلمسان تعاني من انقسامات سياسية وتكالب على السلطة جعلت الإمام المغيلي يخرج منها بحثا على أرض يرتاح فيها من مشاكل الحكم والسياسة فاستقر تَوَاتٍ وكانت حاضرة للعلم والعلماء، لكنه سرعان ما اكتشف حقيقة تلك البلاد، وما يدور فيها من جور وظلم وعداء، فذهب يرشد وينصح ويكشف الغطاء ويشرح ما يجب أن يكون عليه أهل الذمة في أرض الإسلام، اتبعه كثير من طلابه ووافقه لكن الواقع المرير بقي على حاله فأجبر على التغيير بيده، بدأ بهدم الكنائس ثم ألزم اليهود الذلة والصغار فلم يستطيعوا مجابهته، وافقه بعض العلماء وخالفه آخرون فاشتد معهم الخلاف والخصام، فظهر في التاريخ ما يعرف بـ "نازلة تَوَاتٍ".

هذه الحادثة التي قامت لأسباب وشجعت عليها عوامل واحتدم فيها الخصام كانت منطلق بحثنا الموسوم بـ "نازلة توات؛ دوافعها عواملها ونقاش المغيلي مع علماء زمانه"، وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تجيب على إشكاليات البحث: ما هي الدوافع الحقيقية وراء حرب المغيلي على يهود توات؟ هل كانت دوافع سياسية أم دينية اجتماعية؟ هل هناك عوامل أخرى شجعت المغيلي على شنّ هذه الحرب ضد اليهود؟ هل كان عنده حقد وبغض تجاه جنس اليهود عموماً أم أنّ يهود توات كانوا مختلفين؟ ما هي حجة المخالفين وكيف كان رد المغيلي عليهم؟ هل تصرف المغيلي في هذه الحادثة تصرف رجل دين أو رجل سياسة؟ ما هو منهج المغيلي في دعوته إلى الدين؟

هذه التساؤلات تهدف إلى إظهار المنهج السويّ للإمام المغيلي في الدعوة ومدى صدقه وإخلاصه لدينه ووطنه، وكيف كان يسعى دائماً لإعلاء كلمة التوحيد في بلاد الإسلام.

اعتمدنا في بحثنا هذا على المناهج: الوصفي والتحليلي ثم النقدي، فتوصلنا إلى النتائج الآتية: دوافع الحرب ترجع إلى غيرة المغيلي على الإسلام والمسلمين وتطبيقه ما جاء في شريعة الإسلام في حق أهل الذمة، أما العوامل فأهمّها بغض اليهود للمسلمين وسعيهم في إذلالهم وإضعافهم والمكر بهم بكل الطرق، أما نقاشه لمخالفيه فقام أساساً على مسألة هدم كنائس اليهود ودار في الغالب على إخراج اليهود من دائرة أهل الذمة، وقد نجح المغيلي في إثبات وجهة نظره بالأدلة العقلية والنقلية فكان في حكم المجاهد في سبيل الله الذي يسعى لتغيير المنكر بيده ولسانه، المغيلي صادق النية مخلص غيور على الدين، غيّر المنكر بلسانه وغيّره بيده في غياب السلطة ممثلاً شرع الله تعالى دون إفراط ولا تفريط.

2. الدوافع والعوامل:

2-1 عوامل ساهمت في حدوث معركة توات:

إن اختلاط اليهود مع المسلمين قدّم قدم الإسلام، فسيرة النبي ﷺ تحكي لنا القصص الكثيرة لنستنتج منها العبر في كيفية التعامل مع اليهود معاهدين أو محاربين، تجاراً أو حرفيين، قبليين أو متحضرين، وضلّ الحال قروناً من الزمن حتى صار اليهود جزءاً من بلاد المسلمين وسياستهم كما كان الحال في الأندلس وما سبقها من بلاد المسلمين⁽¹⁾، لكن بعد سقوط الأندلس في أيدي الصليبيين الكاثوليك انتقموا من المسلمين شر انتقام وأقاموا عليهم محاكم التفتيش التي نجد شناعة جرائمها مدموسة في بعض كتب التاريخ إلى اليوم، هذه الجرائم لم يسلم منها حتى اليهود، فقد عوملوا كمعاملة المسلمين كونهم جميعاً - في نظر الكاثوليك - مارقين عن الدين، وهذا ما أدى إلى ظهور موجات الهجرة من الأندلس إلى الضفة الجنوبية من حوض البحر الأبيض المتوسط تحمل اليهود خلال القرنين 9-10هـ/15-16م، فاستقر عدد كبير من اليهود ببلاد المغرب من الشمال إلى الجنوب واستوطنوا بالخصوص المراكز التجارية للقوافل من وإلى السودان وحتى إلى بعض دول أوروبا آنذاك⁽²⁾،

¹ اعتنق الأفارقة السود (أهل السودان) الديانة اليهودية منذ قرون وظلوا متمسكين بها سنين عديدة إلى أن ظهرت المسيحية في بعض ممالكها فدانوا بها وأخلصوا لها، ثم قامت بعدها حركات إسلامية أفتعت أغلب الأفارقة باعتناق الإسلام ما عدا قلة قليلة بقيت على المسيحية إلى الآن، أما اليهود فقد حطّمهم جميعاً المسيحيون الإفريقيون آنذاك. انظر: وصف إفريقية، حسن بن محمد الوزان، 1/ 67. ويقال أن فرعون موسى استدعى من كوكيا الواقعة بأرض السنغاي بعض السحرة لمناظرة كليم الله موسى عليه السلام، لكن لم تذكر أدلة تثبت الواقعة، وإذا كان ذلك صحيحاً فإنه يدلّ على وجود علاقات بين سنغاي ومصر الفرعونية في زمن موسى عليه السلام، وربما يكون انتشار اليهودية راجع إلى ذلك الزمان لاحتمالية رجوع سحرة فرعون وقد آمنوا بموسى عليه السلام أو رجوع سلالاتهم إلى موطن آبائهم الأصليين مؤمنين بديانة موسى عليه السلام، خاصة وأنّ بعض أهالي المنطقة يشيرون إلى وجود طائفة من اليهود هناك منذ أقدم العصور، وتجدر الإشارة إلى أن بلدة كوكيا قديمة جداً تقع على ضفة نهر النيجر، وكانت هي العاصمة الفعلية لسلطنة سنغاي. انظر: تاريخ السودان، عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، ص4. وانظر: دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين ... أبو بكر ميقا، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، م2، ع7، ص194-195.

² انظر: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، 267/1-268.

وقد زادت هذه الموجات في ظل حكم السعديين⁽³⁾ للمغرب، هذه الدولة التي استقبلت اليهود وساعدتهم على الاندماج في مجتمعاتها حتى عُرف اليهود بنشاطهم الواسع في ظل حكم هذه الدولة وانتشار نفوذهم بالبلاد الإسلامية في شمال إفريقيا وفي السودان الغربي حتى وصل بهم الحد إلى إظهار دينهم ونشره والدعوة إليه وبناء كنائس لعبادتهم، ومن الناحية الاجتماعية والتجارية بلغ نفوذهم حدّه وتعاملوا بكل أنواع المكر والخداع الذي تُملّيه عليهم عقيدة شعب الله المختار فسيطروا على الاقتصاد وتمكنوا من بعض النفوذ السياسي واحتقروا الضعفاء من المسلمين، وهكذا كان اليهود في توات وما جاورها منذ مدة طويلة، ما دفع الإمام المغيلي إلى شن حربه الشعواء على يهود المنطقة وما جاورها من البلاد بما عُرف فيما بعد بـ "نازلة توات"، ولم يكن المغيلي وحده في مواجهة اليهود، بل في نفس الوقت قامت معركة في "واد غير" لنفس الأسباب، كما كان لليهود نفوذ في المغرب الأقصى زمن السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني الذي عيّن هارون اليهودي وزيره الأول فعات في الأرض فسادا وتحكّم برقاب المسلمين وفعل بهم الأفاعيل، وعيّن شاويل اليهودي حاكما على فاس، فعبثوا بمصالح المسلمين السياسية والاقتصادية حتى قام محمد بن علي بن عمران الإدريسي بثورته التي قُتل فيها السلطان عبد الحق وهارون وشاويل اليهوديين وباقي يهود فاس، وقضى على الأسرة المرينية الحاكمة، وبايع الشريف علي الرضا الإدريسي من أسرة بني وطاس عام 869هـ/1465م⁽⁴⁾، فظهرت الدولة الوطّاسية بعد إسقاط الدولة المرينية.

رمى بعض علماء ذلك العصر المغيلي بالتعصّب وانتقده الكثير منهم وخاصة علماء فاس وردّوا عليه ردودا تتسم بالعنف والتحريض وحذروا منه الحكام والعوام، فردّ عليهم بقناعاته ودعاهم إلى مناظرته فباءت المحاولات بالفشل لأسباب مختلفة⁽⁵⁾، فيما تذكر روايات

³ هي الدولة التي قامت على يد محمد بن عبد الرحمن القائم بأمر الله (يطلق عليه لقب: أمير المؤمنين) بعد تزكية ومبايعة شيوخ الزوايا له لاسترجاع مكانة المسلمين وبلادهم من غزاة البرتغال سنة 916هـ/1510م، ثم خلفه من بعده أبنائه، توسعت هذه الدولة حتى صار له نفوذ على بلاد المغرب وما جاورها من مدن. انظر: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، 42/1-43.

⁴ انظر: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، يحيى بوعزيز، 147/2-148.

⁵ انظر: دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي، أبو بكر ميقا، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2، ع7، ص205-206. وانظر: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، 269/1-270.

أخرى أنه جرت مناظرة حادة وساخنة بحضور السلطان، لكن الحاقدين على المغيلي تمكّنوا من تغيير مجرى القضية وأخرجوها من إطارها الديني والاجتماعي إلى إطار سياسي بعدما انقطعت بهم السبل، وصوّروه للسلطان على أنه صاحب طموحات وأهداف سياسية، فدافع المغيلي بشدة عن موقفه وردّ عليهم تهمهم وبيّن دوافعه الدينية، ثم غادر فاس غاضبا من غدر أنصاف الفقهاء وأرباب المتفقيين له ورجع إلى توات⁽⁶⁾، ورغم كل هذا كان لدعوة المغيلي صدى واسع في السودان وفي الصحراء.

إنّ رأي المغيلي تجاه اليهود لم يأت من فراغ، وإنّما هو اجتهاد عالم مجاهد بالقلم واللسان وصدّقه جهاد بالأركان، رأي عالم متبحّر في علوم الشريعة فقها وحديثا وتفسيرا وبلاغة...، عايش اليهود في حاضرة تلمسان ثم في توات ولم يكن له معهم كثير نزاع، إلّا أنه كان ينفر منهم كما ينفر العاقل من عدوّه، ولا يأتمنهم ولا يواليهم ولا يتودّد إليهم لأنهم يطعنون في الدين، وهم أشدّ الناس عداوة ومسبّة للمسلمين، يستهزؤون بصلاتنا ويحرّمون على أنفسهم ذبائحنا وأطعمتنا والطبخ في قدورنا وأنيتنا، ولم يسلم من طعنهم حتى نبينا عليه الصلاة والسلام، فكل يهودي - كما يرى المغيلي - ولي للشيطان العدو المبين، بل كل واحد منهم هو إبليس بعينه ينبغي للمؤمنين اجتنابه⁽⁷⁾، ثم إنّ المغيلي عالم استوطن عوالم مختلفة فعاش الاختلافات الفكرية الثقافية والاجتماعية وحتى السياسية والاقتصادية، عاصر سقوط آخر إمارات الأندلس وهو قريب منها وأدرك - بعد تمحيص - أسباب سقوطها، ما كان لتمرّ عليه مثل هذه الأحداث هكذا فقط وهو من هو في الغيرة والشهامة والبسالة، عُرف بتمكّنه في جانب السياسة الشرعية وقد كتب رسائل ملوك عصره يجيب فيها عن أسئلتهم وينصّحهم بما فيه خيرهم وخير المسلمين منها "رسالة المغيلي إلى سلطان كانو"، مزج بين علم السياسة وعلوم الدين حتى صار له قدر كبير عند الأمراء والولاة، فكانوا يستشيرونه في الأمور العظام وبخاصة في بلاد السودان الغربي، وهو في كل هذا ممتثلا ما جاء في الأثر:

⁶ انظر: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحيى بوعزيز، 150/2.

⁷ انظر: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص 30-32.

"إِنَّ اللَّهَ لِيَنْزِعَ بِالْإِسْلَامِ مَا لَا يَنْزِعُ بِالْقُرْآنِ"⁽⁸⁾، فكان رحمه الله مثلاً للعالم المجاهد الغيور على دينه وإخوانه المسلمين.

2.2 أسباب حرب المغيلي على يهود توات:

ترجع أسباب حرب المغيلي على اليهود إلى نقطتين أساسيتين:

- غيرة المغيلي على دولة الإسلام والمسلمين: لأنه يرى أن يهود ذلك الزمان قد نقضوا عهد الذمة الذي بيّنه دين الإسلام، والذي يقضي بسماع المسلمين لغيرهم بالعيش بين أظهرهم وحمايتهم من كيد الأعداء مقابل دفع الجزية والخضوع المطلق لسلطة المسلمين، لكن الواقع آنذاك مخالف تماماً لما يجب أن يكون، حيث سيطر اليهود على الاقتصاد وعلى بعض رجال السلطة، واحتقروا فقراء المسلمين ومستضعفيهم، وما زاد الطين بلّة استخفافهم بالأحكام الشرعية الإسلامية، فدعا المغيلي إلى منع اليهود من إحداث كنائس في بلاد المسلمين حتى ولو أعطوا على ذلك ملء الأرض ذهباً، ودافع على رأيه هذا بحجج عقلية ونقلية، وهذا ما دفع المغيلي إلى تأليف كتاب أسماه "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، أجاب فيه على أسئلة وردته من بعض الأخيار عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، وكذا ما عليه أكثر يهود ذلك الزمان من التعدي والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولية أرباب الشوكة والسلطان، وخلّص كتابه إلى حكم قاطع لا شك فيه ولا مرية يقضي بحلّ دماء اليهود وأموالهم وأولادهم ونسائهم وأهّهم لا ذمة لهم⁽⁹⁾.

⁸ ذهب أكثر العلماء إلى أنّ هذا الأثر موقوف على عثمان رضي الله عنه، ومنهم من أوقفه على عمر رضي الله عنه. بنفس اللفظ، انظر: الجذ الحثيث في بيان ما ليس بمحدث، أحمد بن عبد الكريم العامري الغزي، رقم 53، ص. 20. وابن كثير أحد العلماء الذين نسبوا الأثر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنظر: البداية والنهاية، عماد الدين بن كثير الدمشقي، 301/2. وغيره كثير.

⁹ أنظر: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص. 21-22، وانظر: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، 269-268/1.

- يرجع السبب الثاني إلى تفسير المغيلي لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: 51) إلى أن من يتولى الكفار ويتعامل معهم فهو كافر مثلهم، فحرّم التعامل مع هؤلاء ودعا إلى قطيعتهم ومجافاتهم، فقال: "والحاصل أنه لا يُقَرَّب كافرا من نفسه أو عياله، أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئا من ماله، إلاّ من لا دين له، ولا عقل له، ولا مروءة له... فكل مؤمن حقيقي، لا بد أن يكون شديدا على الكفار رحيمًا بالمؤمنين"⁽¹⁰⁾، وراح يستشهد على كلامه بطريقة لبقة بالرجوع إلى نصوص شرعية أسبغها بأدلة عقلية وزاد عليها أمثلة واقعية جعلت رؤيته منطقية⁽¹¹⁾، وصل الأمر بالمغيلي إلى تغيير المنكر الذي عايشه في توات بيده، وهذا ما وضعه على محك النقد والتجريح من قبل بعض فقهاء زمانه⁽¹²⁾، لكنه لم يتوقّف عند هذه الآية بل استشهد بآيات أخرى كثيرة تبين وجهة نظره وواسع اطلاعه منها قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: 28)، وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَفَقِينَ أَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (النساء: 138-139)، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة: 23)، وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: 22) وغيرها من الآيات التي استدل بها في كتابه.

لفهم وجهة نظر الإمام المغيلي والسبب الثاني الذي جرّه إلى الحرب على اليهود لا بد من الرجوع إلى كتب التفسير للاطلاع على معاني الآيات التي استدلّ بها، والمقام لا يسع لتفسيرها كلها لذا نكتفي بالرجوع إلى تفسير الآية 51 من سورة المائدة لأنها من أهم الآيات في الباب، فهذا الإمام الثعالبي شيخ المغيلي وأحد معاصريه فسّر الآية الكريمة بقوله:

¹⁰ مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص 23-24.

¹¹ انظر: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المغيلي، ص 23-34.

¹² انظر: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، 269/1.

"نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتّخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة المؤدّية إلى الامتزاج والمعاودة، وحكم هذه الآية باق، وكلّ من أكثر مخالطة هذين الصّنفين فله حظّه من هذا المقت الذي تضمّنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمُكُمْ﴾" (13)، فالتعالبي لم يحصر الموالات المذكورة في الآية في نصرة الكفار على حساب المسلمين -لأن هذا كفر بواح لا شك فيه- وإنّما جعل كثرة الخلطة التي تؤدي بصاحبها إلى محاباة الكفار والامتزاج والاندماج فيهم من الموالات المحرّمة المؤدّية إلى الكفر، وهذا الحكم ليس حكما خاصا بعهد النبي ﷺ وإنّما هو حكم باق بقاء الإسلام. وفسر فخر الدين الرازي قبلهما بقرون الآية بقوله: "أي لا تعتمدوا على الاستنصار بهم، ولا تتوددوا إليهم" (14)، وأضاف الزمخشري مفصّلا: "لا تتخذوهم أولياء تنصروهم وتستنصروهم وتؤاخوهم وتصافوهم وتعاشرهم معاشرّة المؤمنين... ومن يتولّهم منكم فإنه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدّين واعتزاله" (15)، أمّا القرطبي في بيانه معنى الموالات أشار إلى قوله تعالى في آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونَكُمْ﴾ (آل عمران: 118)، فبيّن حكمها وكيف بالغ القرآن في الزجر والنهي عن اتّخاذ الكفار وأهل الأهواء دخلاء، يفاوضوهم ويسندون إليهم أمور المسلمين، والعلة من هذا النهي الشديد وردت في نفس الآية في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالًا﴾ أي: فسادا، فهم وإن لم يقاتلوا المسلمين ظاهرا إلّا أنّهم لا يتركون جهدا ولا يُضَيِّعون فرصة في إفساد المسلمين والمكر والخديعة بهم (16)، وهذا ما كان بالضبط يحدث زمن الإمام المغيلي ما أثار غيبرته على الإسلام والمسلمين، فإذا كان القرطبي -وهو ابن القرن 7هـ- يتأسّف عن حال زمانه بقوله: "وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتّخاذ أهل الكتاب كتّبة وأمناء، وتسوّدوا بذلك عند الجّهلة الأغبياء، من الولاة والأمراء" (17)، فكيف بزمان المغيلي! والله عز وجل يقول:

¹³ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن التعالي، 392/2.

¹⁴ مفاتيح الغيب، محمد فخر الدين الرازي، 18/12.

¹⁵ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، 249/2.

¹⁶ انظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السّنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد القرطبي، 273-272/5.

¹⁷ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، 274/5.

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (البقرة: 105)، ويقول: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴾ (آل عمران: 100)، وكل من درس تاريخ الأندلس يعلم ما كان عليه الأمراء هناك من توظيف اليهود والنصارى في أروقة البلاط وزراء ومستشارين ليكون منهم فيما بعد من كان سببا في سقوط دولة الإسلام وحضارته هناك.

3. نقاش المغيلي مع علماء زمانه:

إنَّ أعظم ما أسال خبر العلماء في نازلة توات هو ما قام به المغيلي من هدم كنائس اليهود المحدثه في تمنطيط، ممثلا قول الله تعالى: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصُرَنَّ الله من ينصُرُهُ" (الحج: 40)، يقول القرطبي في تفسيرها: "قال ابن خُويز منداد: تضمّنت هذه الآية المنع من هدم كنائس أهل الذمّة وبيعهم وبيوت نيرانهم، ولا يُتركون أن يُحدثوا ما لم يكن، ولا يزيدون في البنيان لا سعة ولا ارتفاعاً، ولا ينبغي للمسلمين أن يدخلوها ولا يصلُّوا فيها، ومتى أحدثوا زيادة وجب نقضُها"⁽¹⁸⁾ أي: هدمها، لكن قاضي توات وبعض علماء فاس وتلمسان خالفوا المغيلي في ذلك، فبيّن لهم بالحجة والبرهان كون يهود زمانه ليسوا أصلا أهل ذمّة لأنهم خانوا العهد والمواثيق التي وضعها الشرع، ولو كانوا من أهل الذمّة حقا فالكلام يكون مختلفا، لكن مخالفه أصروا على قولتهم إنهم من أهل الذمّة وإنهم معاهدون لا يجوز التعدي عليهم... وانتقدوه في هذا الباب، رغم أنّه إلى زمن غير بعيد -أيام بني مرين في القرن 7هـ - وبالضبط في عهد يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني أفتى شيوخ المغرب أنّ اليهود لا ذمّة لهم بسبب بيعهم الخمر للمسلمين بعد النهي عنه، فقتلوا وسبوا ببلاد بني مرين كلها⁽¹⁹⁾، إلّا أنّهم بقوا على مكرهم وخداعهم في المدن والقبائل الأخرى ومنها مدينة توات وما جاورها كما بيّن المغيلي في كتابه⁽²⁰⁾.

¹⁸ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، 410/14.

¹⁹ انظر: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، 250/2.

²⁰ انظر: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص 40-44.

يتبيّن بعد العرض السابق أنّ المغيلي كان متمكنا في التفسير ولم يكن رأيه صادرا عن هوى أو عزة بالنفس أو تعصب لعرق، وإمّا سعى إلى تطبيق تعاليم الإسلام في بلاده كما بينّها صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام، وكما شرحها وفصلها من سبقه من العلماء الريانيين، ومن ردّ عليه في هذا الباب يتبيّن ضعفه في التفسير وعلمه العليل وربطه للدين بما كان عليه في زمانه من التساهل والتأويل، وجهله بواقع المغيلي المرير، إذ أنّ فقه الواقع ممّا لا بد منه في الفتوى وأحكام التنزيل، فحكموا على أنّ اليهود أهل ذمّة معاهدون، لكنّ اليهود في الواقع أسقطوا عن أنفسهم حق المعاهدة والذمّة بسبب تصرفاتهم الشيطانية... يهود تجاوزوا كل الحدود تسلّطوا على اقتصاد المسلمين ورقابهم ولهم كبير نفوذ في السياسة والحكم...، ثم يأتي من يدافع عنهم ويقول هم أهل ذمّة معاهدون، لهم حرية مطلقة في أنفسهم ومالهم، أباحوا لهم حتى بناء الكنائس وإظهار ما اختصوا به من الشعائر، وهذا التحليل من قبل بعض الفقهاء أخطر من مكر اليهود ذاته، لهذا لمّا أجاب العبدوسي على أسئلة وردته في كنائس اليهود وبيعهم، وأفتى بعدم جواز إحداثها ولا إصلاحها، وأنّ من يفعل هذا ينقض العهد، وذكر على ذلك الإجماع، ويبيّن أن شيوخ المغرب قد أفتوا بانتفاء الذمّة عنهم، قال ما نصّه: "ومن تسبب لهم في ردّ الكنيسة وأعانهم في ذلك أو نصرهم فيه معتقدا حليته فهو كافر، وإلاّ ففاسق تلحقه لعنة الله ولعنة رسول الله ﷺ" (21) ثم استشهد بحديث النبي ﷺ: "...فمن أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل... ومن تولّى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل" (22)، وهذا الونشريسي في "المعيار" يورد كلاما لأبي حامد الغزالي في كنائس أهل الذمة ثم يبيّن أنّ ما بناه اليهود من كنائس بالقصور التواتية لا تُقرّ بل تُهدم وجها واحدا، لا كما توهمه من أفتاهم بذلك من فقهاء تلمسان وفاس، لأنّه حسب نظره غلط فاحش (23)، فكيف أفتى من أفتى مخالفا الإمام المغيلي ومواليا اليهود أمام قوله تعالى:

²¹ المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، 249/2-250.

²² الجامع الصحيح، البخاري، كتاب: فضائل المدينة، باب: حرم المدينة، 1870، 22/2.

²³ انظر: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، 235/2.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِیَنْفُوتَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (النساء: 138-139) وأمام أحكام أهل الذمة التي بينها دين الإسلام؟ أم أنّها الذلة والصغار!

دعونا نفترض أن يهود تَوَات أهل ذمة حقيقة، وأنهم معاهدين لا يمكن التعدي عليهم، وأنهم يتمتعون بحقوق وواجبات...، حينها يرد على الذهن تساؤل ينبغي الإجابة عليه: هل يمكن لأهل الذمة أن يبنوا كنائس في دار المسلمين؟ وهذا الإشكال يُحْتَمُّ علينا الرجوع إلى ما قعده العلماء فيما يتعلق بأهل الذمة، فهذا كتاب "أحكام أهل الذمة" يبيّن أن هدم دور العبادة أو إبقاؤها مرتبط بنوع البلاد التي يسكنها أهل الذمة، لأنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1- بلاد أنشأها المسلمون في الإسلام ووضعوها أسسها من عدم كالبصرة والكوفة وبغداد...، فهذه اتفقوا فيها جميعاً على عدم جواز بناء كنائس ودور عبادة فيها لأهل الذمة، وإذا بنيت فيها فيجب هدمها، ولا يجوز حتى للحاكم أن يأذن لهم ببنائها.

2- بلاد أنشئت قبل الإسلام فافتتحها المسلمون عنوة وملكوا أرضها وساكنيها كأرض خيبر ومصر وعامة أرض الشام وسواد العراق، فهذه الأرض لا يجوز استحداث كنائس فيها أبداً وإذا بنيت بعد الفتح يجب إزالتها باتفاق الأئمة، أما ما كان قديماً -بني قبل الفتح- فهذه يجوز هدمها ويجوز إبقاؤها والهدم أولى، وللإمام الحرية في ذلك حسب ما تقتضيه المصلحة، فإن رأى كثرة الكنائس وقلة المتعبدين أخذ منهم أكثرها، وإن رأى حاجة هؤلاء إلى دار العبادة تركها لهم لتحصيل المنفعة دون تملكها، وما كان فيه مضرة للمسلمين أخذ منهم، وإذا اشتبه المحدث بالقديم وجب هدمهما معاً لأن المحدث واجب الهدم والقديم جائز وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

3- بلاد أنشئت قبل الإسلام وفتحها المسلمون صلحا كحاضرة الشام، فهذه الأرض نوعان: إما أن يصلح المسلمون أهل الذمة على أنّ الأرض لهم وللمسلمين الخراج أو يصلحونهم على بذل مال معين للهدنة، في هذه الحال يجوز لهم أن يبنوا من دور العبادة ما يشاؤون، ولا يجوز هدم بيعهم وكنائسهم قديمة كانت أو محدثة ما داموا موفين بالعهد، فإذا نقضوا العهد سقط الحق. أمّا النوع الثاني يتمثل في مصالحه المسلمين لأهل الذمة على أن الأرض للمسلمين مع فرض تأدية الجزية عليهم، وهنا حكم بناء البيع والكنائس متوقف على ما وقع في بنود الصلح من إبقاء أو إحداث أو هدم⁽²⁴⁾.

وافق الونشريسي المغيلي في نظريته تجاه يهود توات، ورأى بوجوب هدم كنائسهم هناك باتفاق ابن القاسم وغيره، لأن أرض توات هي أرض إسلامية باختطاط (اختطها المسلمون)، وذهب يذكر أقوال العلماء في المسألة ابتداءً بعلماء الصحابة كعمر وابن عباس رضي الله عنهم والتابعين ومن جاء بعدهم كعمر بن عبد العزيز والحسن البصري ومالك والشافعي وابن الماجشون وابن القاسم وابن المنذر والقرطبي والطروشني ورهط كثير من علماء المسلمين حيث فصل الحديث في أنواع بلاد المسلمين وما يتعلق بها من أحكام أهل الذمة في بناء الكنائس - كما سبق ذكره - إلى أن حكى إجماع أهل الشورى بقرطبة على منع إحداث الكنائس ببلاد الإسلام ووجوب هدم ما أحدث منها⁽²⁵⁾، وبعد هذا الكلام لا يبقى باب للنقاش في هذه المسألة.

²⁴ انظر: أحكام أهل الذمة، شمس الدين بن قيم الجوزية، 3/1173-1202. وانظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، بدر الدين بن جماعة، ص256-257. وانظر: دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي...، أبو بكر ميقا، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، م2، ع7، ص203-205.

²⁵ انظر: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، 2/232-246.

إنّ المطلّع على نقاش المغيلي مع مخالفيه وخاصة في الكتب التي ذكرت أزمته مع بعض فقهاء زمانه يلحظ لأول وهلة عدم مناقشته إياهم في مسألة هدم كنائس أهل الذمة المحدثّة دون القديمة في البلاد الإسلامية التي فتحت عنوة وهدم كل الكنائس في البلاد التي أسسها المسلمون ... وتوات واحدة من البلاد التي أسسها المسلمون حسب رأي الونشريسي، ولو ناقشهم في هذا الباب لربّما حلّ النزاع، لكنّه بقي يثبت كون يهود توات ليسوا أهل ذمة⁽²⁶⁾، وهذا يفتح باباً للاستفهام عن رأي المغيلي في كنائس أهل الذمة في بلاد الإسلام، أم أنّه يتبع القول الثاني المنسوب لابن القاسم عن مالك في المدوّنة الذي يجيز لأهل الذمة إحداث كنائس في بلاد الإسلام إذا أعطوا إذناً بذلك؟⁽²⁷⁾ إلّا أنّ ما ذكره مالك في المدوّنة لم يكن قاطع الدلالة بل يحتمل معان أخرى، وعلى هذا الرأي: من أعطى يهود توات الإذن ببناء البيع والكنائس؟ وكيف ومتى كان ذلك؟ إنّ المغيلي لم يكن ليغفل عن هذه المسألة وإنّما تعرّض لها بالتفصيل في كتابه "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" بل وأفردها بفصل كامل أسماه "فيما يلزم أهل الذمة الكفار من الجزية والصغار" بيّن رأيه بما يوافق جمهور العلماء، وتحدّث مطوّلاً على الصغار الذي يلزم أهل الذمة في الجوانب المختلفة وخاصة في الدين، فلا يجوز لهم إحداث كنائس ببلاد الإسلام ولا إظهار صلاتهم ولا قراءتهم ولا كتبهم ولا يمدحون علماءهم أمام المسلمين... وذكر الأحاديث والآثار على ذلك إلى أن حكى إجماع الأمة على تحريم إحداث كنيسة في بلاد المؤمنين⁽²⁸⁾، ثم قال: "فإنّ أذن في ذلك سلطان، أو قاض أو غيرهما من ولاة الأمر وجب نقض إذنه وهدم ما بنوه به إذ لا يكون إذن واحد ولا حكمه مانعاً من إقامة الحق وتغيير المنكر كائناً من كان وإن طال الزمان"⁽²⁹⁾، فهو إذن مخالف للقول الذي ينسب لابن القاسم في رواية، وإنّما سلك طريق جمهور العلماء.

²⁶ لأنّه ركّز في كتابه "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" على هذه المسألة خاصة في الفصلين الثاني والثالث.

²⁷ انظر: المدونة الكبرى، مالك بن أنس، 435/3.

²⁸ انظر: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص 37-39.

²⁹ مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص 39.

بعد كل هذا تتضح الرؤية ويزول الغموض ويتبين أنّ ما قام به المغيلي كان موافقا لشريعة الإسلام، ولم يكن فعلا صادرا عن شدة في النفس وقسوة تجاه اليهود، وإنّما كان محيطا بكل جوانب ودقائق المسألة، لكن قد يُعاب عليه تغيير المنكر بيده ولم يكن من أهل السلطة حتّى يُغيّر بيده، والواجب عليه كعالم تغيير المنكر بلسانه فينصح ويُرشد ويسعى للخير والصالح كما ذُكر عنه في ترجماته رحمه الله تعالى، وتبقى دوافع أخرى تبرّر للمغيلي تصرفه هذا، لأنّه لم يكن له عقدة تجاه جنس اليهود وإنّما مشكلته العظمى مع يهود توات، فقد عاش في تلمسان ولم يواجه اليهود هناك بمثل ما واجههم به في تمنطيط توات التي كانت تفتقر للسلطة الحازمة والسياسة الإسلامية لتقديهم ملاً بطونهم على تطبيق شرع ربهم، وربّما يكون للعامل السياسي والاقتصادي والجغرافي دور فيها، إذ إن توات كانت بعيدة عن العاصمة السياسية لبلاد المسلمين، وليس لها كبير نفوذ في الحكم، ثم إنّ اقتصادها المعتمد على القوافل التجارية التي تمر عليها قادمة من الجنوب ومتجهة نحو الموانئ في الشمال والعكس وما تنتجه أرضها وأغلبه من التمر أقل من اقتصاد غيرها، أما جغرافيا فهي أرض بفلاة وسط الصحراء تفتقر إلى موارد ومواقع استراتيجية، هذه العوامل أدّت إلى تحوّل توات إلى حاضرة علم يُركّز أهلها على طلب العلم وحفظ القرآن بسبب صفاء الأذهان، وانتقال العلماء إليها لنشر علومهم والاستزادة منها كفعل المغيلي، كما سمحت في المقابل لليهود بتوسيع نفوذهم وإظهار قوّتهم والتسلّط على رقاب المسلمين والضعفاء دون رقيب ولا حسيب، حتى صارت توات إمارة صحراوية يسيطر على أقدارها السياسية كبار التجار والأثرياء ولليهود نفوذ كبير عليهم⁽³⁰⁾، ما أدى إلى اشتعال شرارة حرب قادها المغيلي على يهود أخرجوا أنفسهم من دائرة أهل الذمّة بتصرفاتهم.

³⁰ انظر: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحيى بوعزيز، 144/2.

خاتمة:

من خلال البحث نستخلص ما يأتي:

- أهم سبب دفع بالمغيلي لشن حربه على يهود توات هو غيرة الإمام المغيلي على بلاد الإسلام والمسلمين، وكان معروفًا رحمه الله بحمله لهم الدعوة إلى الدين ونبذه للاختلافات الداخلية بين الحكام والسلاطين والتي كانت سببًا في خروجه من حاضرة تلمسان إلى أرض توات فإذا به يواجه ما هو أعظم، يهود تسلطوا على رقاب المسلمين في بلاد الإسلام.
- من دوافع حرب المغيلي على اليهود تطبيقه المنهج الرباني القرآني عليهم، فبعد إثباته كون يهود توات ليسوا أهل ذمة ولا حق لهم فيه أخذ يحذر من موالاتهم وإعانتهم على حساب المسلمين مستشهدًا بآيات كثيرة من الذكر الحكيم تبين أن موالات الكفار كفر بالله وخيانة للمسلمين.
- إضافة إلى الدوافع والأسباب هناك عوامل كثيرة ساعدت المغيلي على القيام بحربه ضد اليهود، فقد كان رحمه الله ينفر منهم ولا يأتمنهم ولا يتوّد إليهم لأنهم أشد الناس عداوة وكرها ومسببة للمسلمين وللنبي الأمين ﷺ، وكانوا يستهزؤون بصلاة المسلمين ويطعنون في دينهم ويؤرمون على أنفسهم كل ما يتعلّق بهم من ذبائح وأطعمة وقذور وآنية، حتى صوّروهم المغيلي في صورة الشيطان الرجيم عدو الإسلام والمسلمين، فهذه النظرة شجعت المغيلي في شن حرب عليهم.
- خلاف المغيلي مع قاضي توات وبعض علماء تلمسان وفاس يرجع ابتداءً إلى مسألة هدم كنائس اليهود في توات، لأنهم نظروا إلى يهود تلك المنطقة على أنهم أهل ذمة لهم حقوق وواجبات، وأغلبهم لم يكن لهم اطلاع مباشر على ما كانوا عليهم في ذلك الزمان، إلا أنّ المغيلي أثبت بالأدلة القاطعة أنّ يهود توات خرجوا من دائرة أهل الذمة بسبب نقضهم للعهد الواجبة عليهم في شريعة الإسلام.

- ركّز المغيلي كثيرا على مسألة انتفاء الذمّة عن يهود زمانه، لكنّه لم يغفل في نفس الوقت الحديث عن أحكام أهل الذمة بالتفصيل وخاصة فيما يتعلّق ببناء الكنائس ودور العبادة، وذكر فيها النصوص والآثار وتأصيلات العلماء التي صارت إجماعا فيما بعد كما ذكر المغيلي، والتي تقضي بهدم دور العبادة المحدثّة لأهل الذمّة في بلاد الإسلام.
- ما قام به المغيلي كان جهادا في سبيل رفع كلمة التوحيد وجعلها فوق كل اعتبار، وقد سبقه علماء كثر جاهدوا باللسان والأركان، فاستنّ بسنتهم وسار على طريقهم ولم يخالف في ذلك شرع الله، فبعد توقّر الأسباب وانتفاء الموانع أقام حربه التي انتصر فيها أمام مكر اليهود.
- من يطّلع على كتابات المغيلي يدرك قدر الرجل ومكانته العلمية وتبحره في شتى العلوم، جمع بين العلوم النقلية والعقلية واستعملها في الدعوة إلى الله تعالى فأثمرت تعدّد المناهج الدعوية عند الرجل، فتارة يدعو باللسان وعظّا وإرشادّا، وتارة يدعو بالقلم نصحاّ للسلّاطين وتوجيهّا للعوام بطلب من الحكّام، وتارة يدعو بالسيف عند توفر الأسباب، وهذا يبيّن فقه المغيلي الدعوي وغناه الفكري والمعرفي.
- "الحكمة ضالّة المؤمن" قاعدة سار عليها المغيلي في حياته الدعوية، فكثيرا ما كان يختصر الطريق على نفسه في الدعوة إلى الله بنصح الحكّام والسلّاطين وخاصة في السودان الغربي، فكان يبيّن لهم ما يجب على الحاكم من أخلاق وممارسات وكيف يعامل الحاكم رعيته مسلمة كانت أم غير مسلمة وكيف يمكنه تطبيق تعاليم الإسلام بين العوام...، فنشر الخير الكثير في بلاد الإسلام وبخاصة بلاد السودان الغربي رحمه الله تعالى.

توصية:

أثناء البحث وقراءة آراء العلماء وتوجهاتهم في حياة المغيلي ورد على ذهن تسائل لم أجد له جوابا شافيا، فالمغيلي ولد في تلمسان وعاش بها ردحا من الزمان ثم خرج منها بسبب تكالب رجال السلطة على الحكم وظهور مشاكل داخل الدولة الزيانية آنذاك، فلم يتحمّل العيش هناك ويرى تلك الانقسامات فتوجّه إلى توات وبعدها حدث ما حدث،

فهل يمكن أن يكون هناك علاقة بين ما يحدث في تلمسان وما قام به المغيلي ضد يهود توات؟ أو بتعبير آخر: هل يمكن أن يكون المغيلي فعل ما فعل باليهود في توات خدمة لحاكم معين في تلمسان لتعارض مصلحته معهم؟ خاصة وأنّ التجارة التي كانت تمر من توات جزء كبير منها يتّجه إلى تلمسان، أم أنّ المسألة لم تعدو أن تخرج من دائرة الخلاف الفقهي بين العلماء والفقهاء؟ فأرجو أن تكون هذه التساؤلات منطلق بحث يجيب عليها بشيء من التدقيق والتفصيل.

قائمة المصادر والمراجع:

• المؤلفات:

- 1- أحكام أهل الذمة، شمس الدين بن قيم الجوزية، رمادي للنشر، الدمام-السعودية، ط.1، 1418هـ/1997م.
- 2- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط.1، 1995م.
- 3- الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، مبروك مقدم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران - الجزائر، 2006م.
- 4- البداية والنهاية، عماد الدين بن كثير الدمشقي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - مصر، ط.1، 1417هـ/1997م.
- 5- تاريخ السودان، عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، مكتبة أمريكا والشرق، باريس - فرنسا، 1981م.
- 6- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، بدر الدين بن جماعة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط.1، 1405هـ/1985م.
- 7- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة - مصر، ط.1، 1403هـ.
- 8- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط.1، 1427هـ/2009م.
- 9- الجدل الحديث في بيان ما ليس بحديث، أحمد بن عبد الكريم العامري الغزي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط.1، 1412هـ/1991م.
- 10- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط.1، 1418هـ/1997م.
- 11- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، محمد حجي، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396هـ/1976م.
- 12- رسالتان في أهل الذمة: الرسالة الأولى: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، الرسالة الثانية: الإعلام بما أغفله العوام، محمد بن مرزوق القيرواني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.1، 1421هـ/2001م.
- 13- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الرخاشري، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، ط.1، 1418هـ/1998م.
- 14- المدونة الكبرى، مالك بن أنس الأصبحي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط.1، 1415هـ/1994م.
- 15- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط - المغرب، ودار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1401هـ/1981م.

- 16- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد فخر الدين الرازي، ط1، بيروت - لبنان، 1401هـ/1981م.
- 17- وصف إفريقيا، حسن بن محمد الوزان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط.2، دار الغرب الإسلامي، 1983م.

● المقالات:

- 1- دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين وأثرها في الرعاية والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة، أبو بكر ميقا، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، م2، ع7، ربيع الثاني 1413هـ/أكتوبر 1992م.